

## التحرير والتنوير

وتسير الجبال : نقلها من مواضعها بزلزال أرضي عظيم وهو مثل قوله تعالى ( وإذا  
الجبال سيرت ) وقوله تعالى ( وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ) . وقيل :  
أطلق التسيير على تناثر أجزائها . فالمراد ويوم نسير كل جبل من الجبال فيكون كقوله (   
وتكون الجبال كالعهن المنفوس ) وقوله ( ويست الجبال بسا فكانت هباء منبثا ) وقوله (   
وسيرت الجبال فكانت سرابا ) . والسبب واحد والكيفيتان متلازمتان . وهو من أحوال انقراض  
نظام هذا العالم وإقبال عالم الحياة الخالدة والبعث .  
وقرأ الجمهور ( نسير ) بنون العظمة . وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ( ويوم تسيير  
الجبال ) بمثناة فوقية ببناء الفعل إلى المجهول ورفع ( الجبال ) .  
والخطاب في قوله ( وترى الأرض بارزة ) لغير معين . والمعنى : ويرى الرائي كقول طرفة :  
A E .

ترى جشوتين من تراب عليهما ... صفائح صم من صفيح منضد وهو نظير قوله ( فترى المجرمين  
مشفقين مما فيه ) .

والبارزة : الظاهرة أي الظاهر سطحها إذ ليس عليها شيء يستر وجهها من شجر ونبات أو  
حيوان كقوله تعالى ( فإذا هم بالساهرة ) .  
وجملة ( وحشرناهم ) في موضع الحال من ضمير ( تسيير ) على قراءة من قرأ بنون العظمة أو  
من الفاعل المنوي الذي يقتضيه بناء الفعل للنائب على قراءة من قرأ ( تسيير الجبال )  
بالبناء للنائب .

ويجوز أن نجعل جملة ( وحشرناهم ) معطوفة على جملة ( نسير الجبال ) على تأويله ب (   
نحشرهم ) بأن أطلق الفعل الماضي على المستقبل تنبيها على تحقيق وقوعه .  
والمغادرة : إبقاء شيء وتركه من تعلق فعل به . وضائر الغيبة في ( حشرناهم ومنهم  
وعرضوا ) عائدة إلى ما عاد إليه ضمير الغيبة في قوله ( واضرب لهم مثل الحياة الدنيا )  
.

وعرض الشيء : إحضاره ليرى حاله وما يحتاجه . ومنه عرض الجيش على الأمير ليرى حالهم  
وعدتهم . وفي الحديث " عرضت علي الأمم " وهو هنا مستعار لإحضارهم حيث يعلمون أنهم  
سيتلقون ما يأمر الله به في شأنهم .

والصف : جماعة يقفون واحدا حذو واحد بحيث يبدو جميعهم لا يحجب أحد منهم أحدا . وأصله  
مصدر " صفهم " إذا أوقفهم أطلق على المصفوف . وانتصب ( صفا ) على الحال من واو ( عرضوا )

( . وتلك الحالة إيدان بأنهم أخضروا بحالة الجناة الذين لا يخفى منهم أحد إيقاعا للرب في قلوبهم .

وجملة ( وعرضوا على ربك ) معطوفة على جملة ( وحشرناهم ) فهي في موضع الحال من الضمير المنصوب في ( حشرناهم ) أي حشرناهم وقد عرضوا تنبيها على سرعة عرضهم في حين حشرهم .  
وعدل عن الإضمار إلى التعريف بالإضافة في قوله ( على ربك ) دون أن يقال " علينا " لتضمن الإضافة تنويها بشأن المضاف إليه بأن في هذا العرض وما فيه من التهديد نصيبا من الانتصار للمخاطب إذ كذبه حين أخبرهم وأنذرهم بالبعث .

وجملة ( لقد جئتمونا ) مقول لقول محذوف دل عليه أن الجملة خطاب للمعروضين فتهين تقدير القول . وهذه الجملة في محل الحال . والتقدير : قائلين لهم لقد جئتمونا . وذلك بإسماعهم هذا الكلام من جانب الله تعالى وهم يعلمون أنه من جانب الله تعالى . والخطاب في قوله ( لقد جئتمونا ) موجه إلى معاد ضمير ( عرضوا ) .

والخبر في قوله ( لقد جئتمونا ) مستعمل في التهديد والتغليظ والتنذير على إنكارهم البعث . والمجئ : مجاز في الحضور شبهوا حين موتهم بالغائبين وشبهت حياتهم بعد الموت بمجئ الغائب .

وقوله ( كما خلقناكم أول مرة ) واقع موقع المفعول المطلق المفيد للمشابهة أي جئتمونا مجئنا كخلقكم أول مرة . فالخلق الثاني أشبه الخلق الأول أي فهذا خلق ثان . و ( ما ) مصدرية أي كخلقنا إياكم المرة الأولى قال تعالى ( أفعينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد ) . والمقصود التعريض بخطئهم في إنكارهم البعث .

والإضراب في قوله ( بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ) انتقال من التهديد وما معه من التعريض بالتغليظ إلى التصريح بالتغليظ في قالب الإنكار ؛ فالخبر مستعمل في التغليظ مجازا وليس مستعملا في إفادة مدلوله الأصلي .

والزعم : الاعتقاد المخطئ أو الخبر المعرض للكذب . والموعد أصله : وقت الوعد بشئ أو مكان الوعد . وهو هنا الزمن الموعود به الحياة بعد الموت .

والمعنى : أنكم اعتقدتم باطلا أن لا يكون لكم موعد للبعث بعد الموت أبدا